

تأليف

فضيلة الشيخ

سليمان بن ناصر العلوان



القول الرشيد

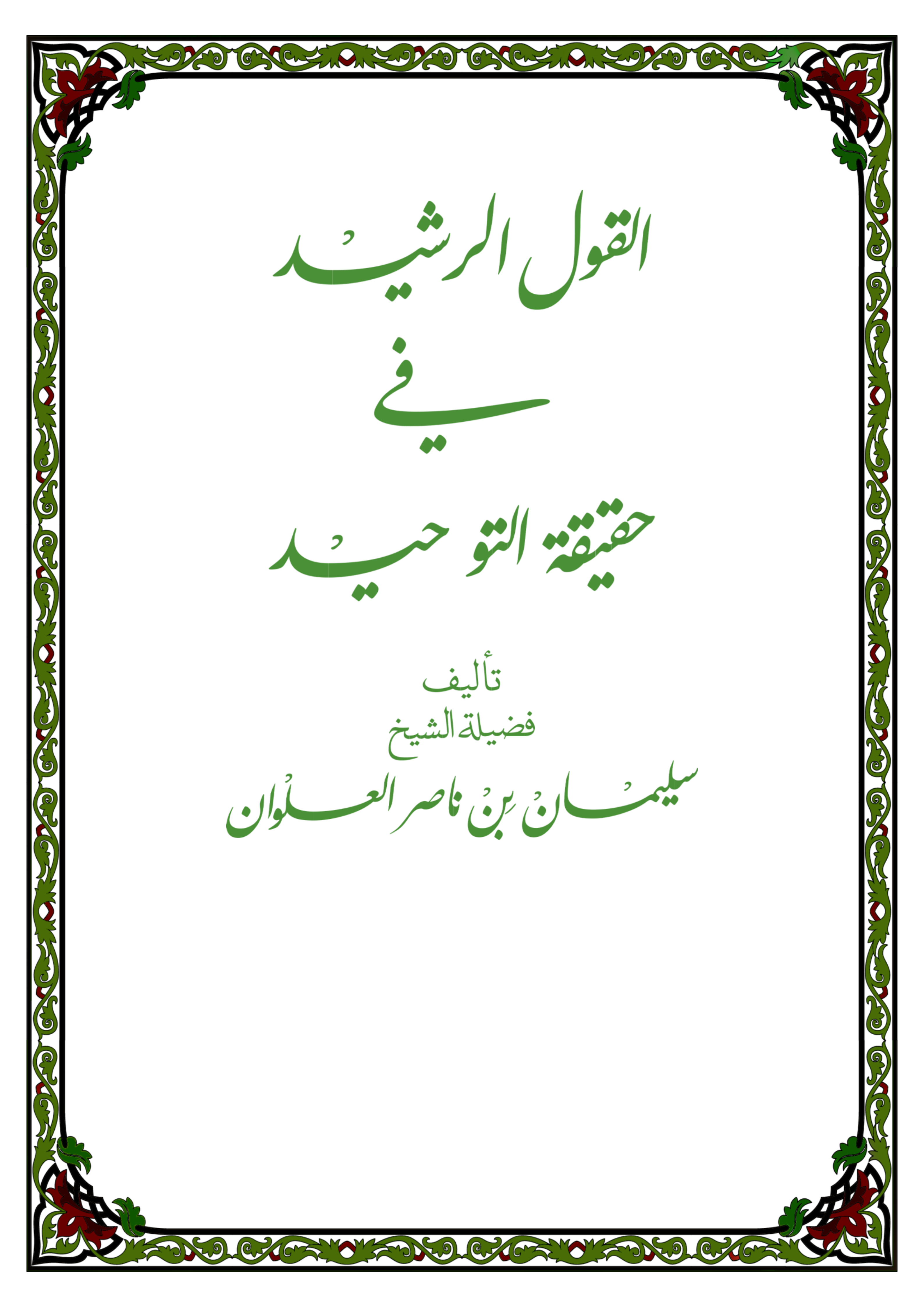
في

حقيقة التوحيد



الطبعة الأولى

دار العلوان

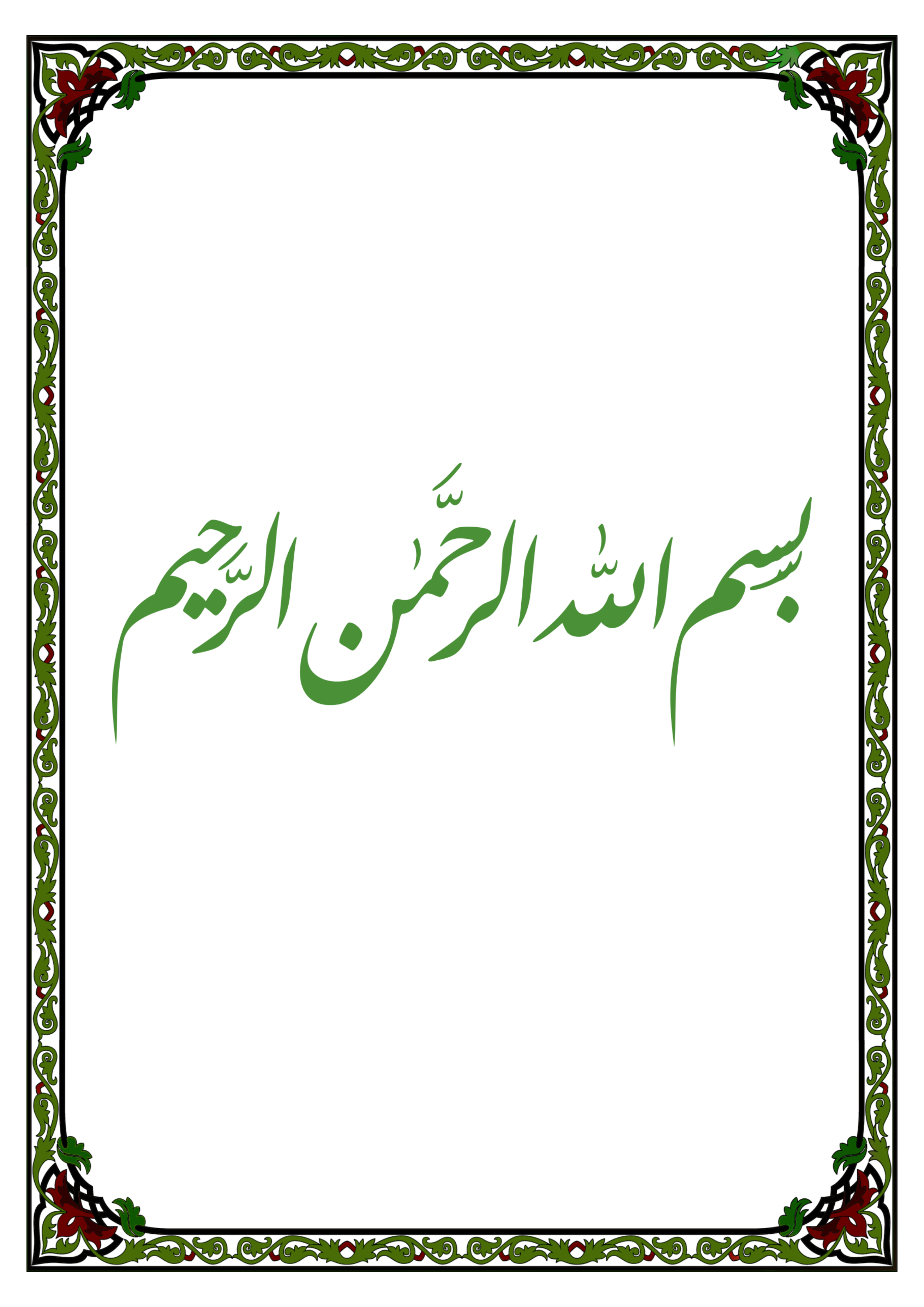


القول الرشيد في حقيقة التوحيد

تأليف

فضيلة الشيخ

سليمان بن ناصر العلوان


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن الله جل وعلا ما أرسل الرسل، ولا أنزل الكتب إلا ليعبد وحده لا شريك له، ويفرد بجميع أنواع العبادة، من: خوف، ورجاء، وتوكل، ورغبة، ورهبة، وخشية، وإنابة، ونحو ذلك من أنواع العبادات التي أمر الله بها عباده، وفرضها عليهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء...**﴾ [البينة: ٥].

وحقيقة الإخلاص إفراد الله بالعبادة وتصفية الأعمال من الشوائب المكدرة لها.

وقال تعالى: ﴿**الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾ [هود: ١- ٢].

والقرآن كله من فاتحته إلا خاتمته يبين التوحيد ويوضحه، فلا تمر بآية من كتاب الله إلا وفيها ما يدل على التوحيد، فهو: أوجب الواجبات، وأهم المهمّات، ومن ثمّ كان أوّل أمر في كتاب الله: الأمر بالتوحيد.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ٢١].

وأوّل نهي في كتاب الله: النهي عن الشرك، قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢].

ولو لقى الله العبدُ بأعمال أمثال الجبال، من: صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وصدقة، وليس معه توحيد لما قبله الله منه، ولجعل أعماله هباءً منثوراً؛ لأنّه لم يأت بما يدخل به في الإسلام. ويخلص به من الشرك.

وقد أُمر النبيُّ ﷺ بأن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محُمّداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، كما جاء ذلك عنه في الصحيحين وغيرهما من حديث واقد بن محمّد ابن يزيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فمن دعي للدخول في الإسلام ولم يستجب لداعي الله فقتاله أمرٌ واجبٌ إلاّ أن يعطي الجزية حتى لا يبقى مشرك على ظهر الأرض له سلطان، ويكون الدين كله لله.

قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ**﴾ [البقرة: ١٩٣]، أي: شرك، ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٣].

فما دام الشرك موجوداً وغير الله يعبدُ فالقتال باقٍ، وعلى هذا قامت دعوة سيد المرسلين، المبعوث لمحق الشرك، وقمع المشركين، ونشر راية التوحيد، الذي هو: إفراد الله بالعبادة دون تنديد به.

وفي «صحيح مسلم» من طريق عكرمة بن عمّار، حدثنا: شداد بن عبد الله، ويحيى بن أبي كثير عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أنّ الناس على ضلالة وأنّهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكة يخبر أخباراً فقعدتُ على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جرآءُ عليه قومه، فتلطّفت حتى دخلت عليه بمكة.

فقلت له: ما أنت؟ قال: (**أنا نبي**). فقلت: وما نبي؟ قال: (**أرسلني الله**). فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: (**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحّد الله لا يشرك به شيء**...) وعلى هذا أُسست دعوة المرسلين.

والناصح لنفسه يتدبر هذا الحديث ويبني قواعد دعوته عليه، ولا يظنه في قوم كانوا فبانوا، فطالما عطل هذا الظن نصوصاً من الواضحات المحكمات، وأوقع في فخ الجهالات، وصدّ عن معرفة العبر المذكورات في الآيات والبراهين المحكمات.

فقوله: (**وأن يوحد الله**) وذلك يكون بصرف جميع أنواع العبادات لله وإخلاصها له.

وقوله: (**لا يشرك به شيء**) يقتضي منع دعوة غيره معه؛ لأن الشرك يفسد العبادة ويحبط العمل، وسواء أشرك مع الله نبياً أو ملكاً أو ولياً أو قبراً أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿**وَٱعْبُدُواْ ٱللّهَ ولاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً**﴾ [النساء: ٣٦].

وجميع الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ يفتتحون دعوتهم لقومهم بـ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود: ٨٤]. قال نوح عليه السلام: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**...﴾ [نوح: ٢ – ٣] الآية.

والعبادة تتضمن جميع ما يأمر الله به من: الأقوال، والأفعال.

وأعظم شيءٍ أمر الله به: إفراده بالعبادة دون ما سواه.

ولا يستكبر عن هذه العبادة إلا جاحد معطل مستكبر كفرعون وأمثاله من الجاحدين المعطلين، القائلين على الله مالا يعلمون.

ولا ينجو العبد من شبكة الشرك إلا بتوحيد الله تعالى، ومتابعة رسوله ﷺ فإن هذين الأصلين عليهما النعيم والعذاب.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ...﴾ [الأعراف: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ...﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ [مريم: ٤٥].

وكل من اتبع غير سبيل الرحمن فقد استحوذ عليه الشيطان، وصار وليا له: يؤزه أزا نحو الكفر، وعبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عن عابديها شيئا.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ* قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٦].

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن[1]، من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطيه عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **(بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)**.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

و«لا إله إلا الله»: كلمة التوحيد المنجية من عذاب رب العبيد، وهي مفتاح دعوة الرسل، ومفتاح الجنة، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال، وهي الفارقة بين المسلمين والكافرين، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل في عقبة إلى يوم الدين.

---

(١) (٢/٥٠).

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند صحيح[1]، من طريق شيبان عن أشعث بن أبي الشعثاء، قال: حدثني شيخ من بني مالك ابن كنانة، قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: (**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**).

فعلق النبي ﷺ الفلاح بقول (**لا إله إلا الله**) أي: مع العمل بمقتضاها وما دلت عليه من: النفي والإثبات. فـ(**لا إله**) تنفي جميع ما يعبد من دون الله، و(**إلا الله**) تفرد الله وحده بالعبادة، وكما أنه متفرد في ملكه وتدبيره يجب أن يفرد بالعبودية، من: خوف، ورجاء، ومحبة، وخضوع، ونحو ذلك من العبادات التي أمر الله بها فلا تعبد غير الله: ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأفرد ربا صمدا حيا قيوما في جميع عباداتك.

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر:١٣- ١٤]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ**﴾ [الأعراف:١٩٤- ١٩٥].

وقد خالف عباد القبور من أهل هذا الزمان وقبله ما دلت عليه هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وصرفوا جل العبادات للأموات وغيرهم: ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عابده وداعيه. وتراهم يتفاضلون عن معبوداتهم من دون الله، والويل ثم الويل لمن نهاهم عن عبادتهم غير الله،. وتراهم يخلصون العبادة رجاء وشدة لأوثانهم ومعبوداتهم، يسألونهم: كشف الكروب والخطوب، وقضاء الحاجات، وكشف الملمات، فجاؤوا بالشرك الصريح، وجعلوا ما أمر الله به من التوحيد هو الشرك، وما نهى عنه من الشرك هو التوحيد.

وهذا حال عباد القبور اليوم عند البدوي والجيلاني وغيرهما فقد هدموا التوحيد، وأتوا بالشرك الصريح من دعائهم غير الله، وصرفهم خالص حق الله لهم... فترى الرجال والنساء ركعا سجدا عند قبورهم يبكون.

فنسأل الله أن يهدينا ولا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، فإن هذا هو الشرك الصريح الجلي: الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة.



(١) (٦٣/٤).

فصل

التوحيد أساس الدين، وهو أول شيء فرضه الله على عباده، وهو أسنى المطالب، وبالتوحيد تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، ويتميز أولياء الرحمن من أولياء الشيطان. وعلى حسب كمال توحيد العبد: تكون ولاية الله له. فإن الناس يتفاوتون في التوحيد وتحقيقه.

وحرص السلف على تحقيق التوحيد، وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي أمر مستفيض عند العلماء وطلبة العلم.

ولا يوجد تحقيق التوحيد إلا في أهل الصدق والإيمان.

وأكمل الخلق توحيدا وتحقيقا له: الأنبياء والمرسلون، فإنهم قد حققوه بفعل الأوامر، وترك النواهي: من الشرك والبدع والمعاصي.

ومن ادعى أنهم لم يحققوا توحيدهم، أي: لم يخلصوه من الشرك والبدع والمعاصي، فقد خلع الإسلام من عنقه، وارتدى لباس الكفر والنفاق، لأن دعوة الرسل قائمة على: هدم الشرك، وإبطال البدع. فرميهم بعدم معرفة التوحيد، أو بعدم تحقيقه: كفر لتكذيبه القرآن المصرح بأنهم بعثوا لقمع الشرك وللدعوة إلى التوحيد. فكيف يدعون إلى التوحيد وهم لا يعرفونه؟ هذا من أعظم التنقص لهم.

فالله المستعان.

واعلم: أنه بحسب توحيد العبد، وكمال تحقيقه: يكون انشراح صدره. فإن التوحيد أعظم الأسباب الجالبة لانشراح الصدر واتساعه، فإنه كلما قوي توحيد العبد، زاد انشراح صدره. وبنقصه ينقص.

وأما الشرك فهو أعظم الأسباب الجالبة لضيق الصدر وحرجه، لأن المشرك عدل بالله غيره، وتنقص ربه ومعبوده أعظم التنقص، إذ سوى به غيره: ممن لا يملك جلب نفع لنفسه فضلا عن غيره، ولا يستطيع دفع ضر عن نفسه، فكيف يدفعه عن غيره؟

وكلما بعد الناس عن عهد النبوة كثر الجهل فيهم.

والشر كله عائد إلى الجهل بالله وبعظمته، فإذا كثر الجهل وعم؛ كثر الإشراك بالله، وكثرت البدع والمنكرات، والأمور المكفرات لبعدهم وإعراضهم عن تعلم الدين.

وفي «الصحيحين» وغيرهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهلا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)**.

فذهاب العلماء العاملين من أسباب ظهور الجهل وضلال العباد. وأما العلماء الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة فوجودهم من أسباب الفساد في الأرض، وكثير ما هم.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ...**﴾ [التوبة: ٣٤].

فهذه الآية فيها خبر من الله تعالى بأن كثيرا من الأحبار: وهم العلماء والرهبان، وهم العباد ليأكلون أموال الناس بالباطل بتساهلهم في التحليل والتحريم طلبا للعاجل، فيحملون النصوص مالا تحتمل إرضاء للرؤساء والزعماء، ومحافظة على مناصبهم ورياستهم وهم مع ذلك يصدون عن سبيل الله، ويلبسون الحق بالباطل، وهذا حال علماء السوء، وهذه صفتهم.

وكثير ممن يعبد غير الله، ويركع، ويسجد، وينحر، وينذر، ويصرف معظم العبادات لغير الله من الأموات وغيرهم؛ يحصل له هذا الشرك بسبب علماء السوء الفجار الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، فجعلوا الفتيا الفاجرة المبنية على الجهل الصرف، والمراغمة والمحادة لله ولرسوله ﷺ. سلما لنيل شهواتهم.

وفي هؤلاء وأمثالهم من علماء السوء يقول الرب جل وعلا: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فهذه الآية فيها بعض صفات علماء السوء، ولا ينبئك مثل خبير.

فيجب الحذر منهم؛ لأنهم لا همة لهم في القيام بأمور الدين والنهي عن ما يضاد أصل الدين، وضلال كثير من العوام الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام على أيديهم فهم قاعدون على كل صراط مستقيم فإنا لله وإنا إليه راجعون.



فصل

التوحيد ثلاثة أنواع:

١. توحيد الربوبية.

٢. وتوحيد الإلهية.

٣. وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية: هو الإقرار والاعتراف بأن الله هو: الخالق، الرازق، المدبر. وهذا التوحيد أقر به مشركو العرب، ولم يدخلهم في الإسلام.

قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [لقمان:٢٥]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٣١].

والإقرار بوجود الله والاعتراف بأنه الخالق الرازق المدبر لا يكفي في دخول العبد في الإسلام. فإن كثيرا من المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام لعدم إذعانهم لتوحيد العبادة، وقاتلهم النبي ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم.

وكثير من الناس يظن أن توحيد الربوبية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل، وأنهم إذا أثبتوه فقد وحدوا الله حق التوحيد، وهذا خطأ ظاهر، ولذلك يعبدون غير الله، ومع ذلك يزعمون أن فعلهم ليس بشرك إنما الشرك إذا جعلت خالقا مدبرا مع الله. وهذا الجهل بالتوحيد أرداهم وجعلهم يشركون بالله شركا جلياً.

ومعلوم قطعا أن الخصومة بين الرسل وقومهم ليست في توحيد الربوبية؛ لأنهم كانوا مقرين به، إنما هي في توحيد الإلهية: وهو النوع الثاني من أنواع التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة فلا يشرك مع الله أحد.

ومن عرف التوحيد الذي أرسلت به الرسل، وأنزلت من أجله الكتب: عرف ما عليه الكثير من إضاعتهم له، وإهماله جانبه، وجهل الكثير بحقوقه.

وقد يظن بعض الناس أنه إذا لم يعبد صنما ولم يسجد لغير الله فهو موحد مهتدي وإن عمل ما عمل، وهذا جهل اصطاد به الشيطان كثيرا من العباد، فأوقعهم بالمكفرات من حيث لا يشعرون.

فإن التوحيد ليس التخلي عن عبادة غير الله من الأصنام والأوثان، بل لابد من التخلي عن جميع العبادات التي يراد بها غير الله والبراءة منها ومن أهلها، وإخلاص جميع العبادات لله.

فإن العبد مأمور بتوحيد الله والبراءة من كل معبود سوى الله، فلو عبد الله ولم يكفر بما يعبد من دون الله،لم يكن متمسكا بالعروة الوثقى قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ**﴾ [البقرة:٢٥٦].

ومن لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهي «لا إله إلا الله» بل تخلى عنها وأهملها وأضاع حقوقها ولم يكن معصوم الدم والمال.

وفي «صحيح مسلم» من طريق مروان الفزاري عن أبي مالك سعد بن طارق عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**).

قال الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله على هذا الحديث في كتاب التوحيد: (وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار بذلك بل كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع).

والبراءة من كل معبود سوى الله قد أضيعت حقوقه في هذا الزمان عند الكثير، وأهمل جانبه، ونقضت عراه، وهذا من عموم الجهل بتوحيد العبادة الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل به الكتب. فإن أصل الدين: إفراد الله بالعبادة، والبراءة من كل معبود سوى الله. وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وهذه ملة إبراهيم التي من رغب عنها فقد سفه نفسه.

قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف:٢٨].

والكلمة التي جعلها الخليل عليه السلام باقية في عقبه هي: البراءة من كل معبود سوى الله، وإفراد الله بالعبادة، وهذا معنى: لا إله إلا الله.

ومن أنواع العبادات التي أمر الله بإخلاصها له سبحانه، وقد عم الجهل بها: «الذبح»: فإن الذبح لله عبادة من أجل العبادات وأعظمها.

قال تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر:٢]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:١٦٢]، والنسك هو الذبح.

فإذا تبين أن الذبح عبادة: فصرف هذه العبادة لغير الله شرك.

وفي «صحيح مسلم» من طريق منصور بن حيان حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله...**) الحديث.

وقد كثر الذبح لغير الله في هذا الزمان لعموم الجهل بتوحيد العبادة، حتى إنك تسمع بمن يذبح لطلعة السلطان تعظيما له، وبعض الجهلة عندما ينزل منزلا ينسك نسيكة للجن لئلا يصاب

بمكروه ما دام في البيت كما يزعم، ولم يعلم هذا الجاهل المندد أنه لا يدفع الضر إلا الله.

ولو اجتمع الإنس والجن على أن يصيبوا عبدا بمكروه لم يرده الله لم يستطيعوا ذلك.

قال تعالى:﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [الزمر:٣٨].

وفي «جامع الترمذي» من طريق الليث بن سعد قال: حدثني قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام، وجفت الصحف**). قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ومن العبادات التي أمر الله بها «الدعاء»: فإنه عبودية عظيمة، وهو من أعظم الأسباب وأقواها لجلب المنافع، ودفع المضار، والداعي يظهر فاقته واحتياجه لربه.

وقد أخبر الله جل وعلا عن الكفار أنهم في الشدائد يدعون الله مخلصين له الدين.

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت:٦٥].

ودعاء الله عبادة من أجل العبادات.

وقد أمر الله عباده بدعائه فقال تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

وروى الترمذي في جامعه من طريق الأعمش عن ذر بن عبد الله عن يسيع عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾**). قال الترمذي عقبه: (هذا حديث حسن صحيح).

ورواه الترمذي من حديث أنس بلفظ: (**الدعاء مخ العبادة**)، وسنده ضعيف.

وفي الحديث: (**إذا سألت فاسأل الله**)، رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وسنده حسن.

وقد خالف عباد القبور هذه النصوص الصريحة في أن الدعاء لايصرف إلا لله وصرفوه للأموات والغائبين فتراهم يدعونهم كأنهم يسمعون ويستنجدون بهم كأنهم حاضرون قادرون.

وقد أبطل الله في كتابه دعائهم وأدحض شبههم ولكن عباد القبور لا يسمعون ولا يعقلون، قال تعالى: ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ [الفرقان:٤٤]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر:١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: ٧٣].

وطلب الحاجات من الموتى سواء كانوا أنبياء أو صالحين فضلا عن غيرهم وسؤالهم الشفاعة وطلب الإعانة منهم والاستعانة والاستغاثة بهم وسؤالهم غفران الذنوب وتفريج الكروب كل ذلك داخل في دعاء غير الله وكله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [الحج: ٣١].

ومن عرف التوحيد علم أن مشركي زماننا أشد بكثير من شرك الذين نزل القرآن ببيان شركهم فمشركو زماننا لا ينثنون عن عبادة غير الله لا في الرخاء ولا في الشدة وجعلوا أوثانهم ومعبوداتهم من دون الله شركاء وشفعاء مع الله. فالعقيم من الرجال والنساء تجدهم يتضرعون عند قبر الميت كي يهبهم ولدا وكأنه الخالق الرازق المدبر.

وعند الكربات والشدائد والمصائب يشتد تضرعهم للأموات، وأما التضرع لله وحده لا شريك له فليس لهم منه نصيب.

وأما المشركون الذين نزل القرآن ببيان شركهم فقد أخبر الله عنهم كما تقدم بأنهم يدعونه في الشدة ويشركون في الرخاء فأي الشركين أعظم؟ وكلاهما متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون.

ومن أنواع العبادة التي شرعها الله لعباده، وأمرهم بالقيام بها «التوكل» فإنه عبادة من أفضل العبادات، وفريضة من آكد الفرائض.

وأعلى الناس مقاما في التوحيد أكملهم توكلا على الله. والتوكل من الأعمال القلبية كما قاله الإمام أحمد رحمه الله.

وقد أمر الله به في كتابه في مواضع كثيرة وأخبر أنه يحب المتوكلين، قال تعالى: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ**﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس في صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: **(هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)**.

وفي «جامع الترمذي» وغيره بسند صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)**.

وقد عم الجهل في هذا الزمان بحقيقة التوكل على الله، ولم يعرف منه الكثير إلا الاسم، وتوكلوا على غير الله إما على الأموات والطواغيت كمن يتوكل عليهم في الحفظ والكلاءة والنصر والتأييد وكشف البأس وجلب النفع، وإما على السلاطين وأصحاب المناصب والوظائف في طلب الرزق. ويدخل في ذلك من يتوكل على الشهادة الدراسية في طلب الرزق.

والله جل وعلا لم يرسل رسله، ولم ينزل كتبه، إلا ليكون الدين كله لله، فلا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله.

وعلى حسب نقص توكل العبد على ربه؛ ينقص توحيده، وعلائق الشرك لا تنفك عن القلب الذي لم يخلص توكله لربه.

وما يحصل من الضيق في الصدر والحرج كله بسبب نقص وضعف التوكل على الله، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكله معلول مدخول. وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة.

ومن ههنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب. وهذا حق ولكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح. فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب وتعلق الجوارح بها فيكون منقطعا منها متصلا بها)[1].

وبالجملة فالقلب يجب عليه أن لا يتوكل إلا على الله فهو مرجوه وعياذه وملاذه، ولا يتوكل أحد على مخلوق إلا لرجائه له.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك)[2]، ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [الحج: ٣١].

وبالاعتبار يلاحظ أن كثيرا من الأفراد والجماعات يحصل لهم الخذلان العاجل أمام عدوهم وذلك بسبب عدم توكلهم على ربهم بل يتوكلون إما على شخص معظم وإما على دولة وإما على السبب أو غير ذلك فيتخلف النصر، وذلك أن الله تعالى أمر عباده بالتوكل عليه فإن قاموا به مع سائر الواجبات ضمن الله لهم النصر والتأييد والفوز والظفر والتمكين في الأرض وإن لم يقوموا به فالخذلان حاصل لهم وهذه سنة الله في عباده فإن الله ينصر من عبده وتوكل عليه وأخلص أعماله له. ويخذل من أشرك به وجعل له شريكا ممن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

ومن أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله: «النذر» فإنه عباده لمدح الله للموفين به في قوله: ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ**﴾ [الإنسان: ٧].

---

(١) «مدارج السالكين» (١٢٥/٢).

(٢) «الفتاوى» (٢٥٧/١٠).

فإذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر. فمن نذر لغير الله كأن ينذر لنبي أو ولي أو غيرهما كعبدالقادر الجيلاني أو البدوي فهو مشرك شركا أكبر.

وقد عمت البلوى بالنذر لغير الله في هذا الزمان فأريقت الدماء وقربت الذبائح لمن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، زاعمين أن لهم بذلك معظم الأجور. وأنى لهم الأجور وقد أتوا بالفجور، والله تعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا.

وهذه الذبائح التي أريقت لغير الله لا يجوز أكلها لأنها مما ذبحت لغير الله، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام: ١٢١].

والمرتد وإن قال على ذبيحته: (بسم الله) لا تحل ذبيحته ما دام عابداً غير الله صارفاً له جل العبادات من نذرٍ وغيره.

وقد اتّفق المسلمون على أنّ نذر المعصية لا يجوز الوفاء به مع اتفاقهم أيضاً على أنّ نذر الطاعة يجب الوفاء به، لما روى البخاري في «صحيحه» من طريق طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **(من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)**.

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في نذر المعصية هل تجب فيه كفارة يمين أم لا، على قولين لأهل العلم، أظهرهما أنّه تجب فيه كفارةٌ لعموم ما روى مسلم في «صحيحه» من طريق عبد الرحمن بن شماسة عن أبي الخير عن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ قال: **(كفّارة النذر كفّارة يمين)**.

قال العلاّمة ابن القيّم ﵀: (وهذا يتناول نذر المعصية من وجهين:

أحدهما: أنّه عام لم يخص منه نذر دون نذر.

الثاني: أنّه شبّههُ باليمين ومعلوم أنّه لو حلف على المعصية وحنث لزمه كفارة يمين بل وجوب الكفارة في نذر المعصية أولى منها في يمين المعصية)(١).

ومن أنواع العبادة التي أمر الله بصرفها له: الركوع، والسجود، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً**﴾ [محمد: ٢٩] الآية.

---

(١) «تهذيب السنن» (٩/١١٨ – عون المعبود).

فمن ركع أو سجد لغير الله فقد جعل مع الله إلهاً آخر فلا يراد بالركوع أو السجود في شريعتنا إلاّ التعظيم لمن يركع له أو يسجد له، والتعظيم عبوديةٌ من أجلِّ العبوديّات فمن صرف التعظيم لغير الله فقد صرف خالص حق الله لمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

ومثل الركوع والسجود: الانحناء. فلا ينحني العبد إلاّ لله لأنّه يراد بالانحناء التعظيم. وتعظيم غير الله من أعظم الشرك وأقبحه.

والركوع والسجود والانحناء كل ذلك محض حق الله، وصرفه لغير الله شركٌ في الأفعال.

قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨]، و﴿**أَحَدًا**﴾ نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، فتعم كل مدعو من دون الله سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا، فصرف الركوع والسجود والانحناء وغير ذلك من العبادات لغير الله مناف لما بعث الله به محمّدا ﷺ وهدم لملة إبراهيم عليه السلام وتجديد لما اندرس من الشرك وإحياء لملة عمرو بن لحي الذي غير دين إبراهيم وأحيا الشرك.

وأما رفع اليد عند رؤية الرؤساء والأكابر فهذا تشبه بالكافرين.

وفي «مسند الإمام أحمد» بسند حسن، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**.

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: (وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة:٥١]).

وأما إن رفع يده ووقف خاشعا خاضعا لمتبوعه فهذا نوع من الشرك بالله وقد وقع في هذا خلائق لا يحصون.

وهذا مصداق لقول النبي ﷺ: **(لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم)** قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: **(فمن)**.

رواه البخاري ومسلم من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه به.

وما أعز في هذا الزمان من يعمل بالحق، بل ما أعز من يعرفه، فإن القلوب في هذا الزمان يغلب عليها النفور عن قبول الحق وتحريه، وأدنى شبهه تعرض للقلوب تجدها تلفي إليها ولو كانت الشبه ظاهرة البطلان.

فهم يتشبثون بما هو أوهى من بيت العنكبوت.

وهذا من غربة الدين وتغير أحوال المسلمين.

وقد أخبر النبي ﷺ **(أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ)** رواه مسلم[1] من حديث أبي هريرة. ورواه أيضا[2] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وخبر النبي ﷺ صدق فلا بد من تحققه ووقوعه، وقد تحقق ما أخبر به فهذا الزمان يشبه أزمان الفترات لقلة من يعرف الحق ويعمل به، فأصبح المعروف عند الكثير منكرا حتى أنه في بعض البلدان أصبح النهي عن الشرك والكفر فجورا، والأمر بالكفر والشرك معروفا.

وأي اغتراب فوق هذه الغربة التي فيها نقضت عرى الإسلام عروة عروة؟ وتكلمت الرويبضة؟ وأدلت بالباطل والفجور وجعلته الحق والمعروف الذي أمر الله به؟

والواجب على من عرف الحق واستبان له اتباعه والقيام به وإن خالفه من خالفه وجفاه من جفاه.

فإن الصراط المستقيم له أعداء قاعدون عليه، فليوطن الموحد نفسه وليقبل على ربه فإنه مؤيده وناصره ومعزه ومذل أعداءه وخاذلهم ولله في خلقه شؤون، ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ * قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يونس٩٩-١٠١].



(١) (٢/١٧٥-١٧٦، نووي).

(٢) (٢/١٧٦).

فصل

الشرك نوعان: أكبر وأصغر.

وقال بعضهم: وخفي.

ولكن الصحيح: اندراج الشرك الخفي ضمن الأصغر فالشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة. وصاحبة إن لقي الله به فهو مخلد في النار.

قال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨].

وقد تقدم بعض أنواع الشرك الأكبر، وهذه الرسالة مختصرة لا تتسع لذكر تفاصيل أنواع الشرك الأكبر وما يتعلق به ولكن تقدمت إشارات إلى بعض أنواعه مع شيء من البيان وقع على سبيل الاختصار وغالب من يقع في الشرك سببه إعراضهم عن تعلم أصل الدين وتساهلهم في جانب التوحيد وعدم الوقوف على حقيقته وما يرشد إليه ويدل عليه، وإعراضهم عن تعلم نواقض التوحيد - وقد كتبت رسالة مختصرة في شرح نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فليرجع إليها من أراد الوقوف على نواقض الإسلام ليدرك خطورتها، ويعلم محل كثير من أهل هذا الزمان منها - ومفسداته التي: متى دخلت عليه أفسدته وأحبطت عمل صاحبه وإن كانت الأعمال أمثال الجبال كما قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر:٦٥].

وفي القرآن والسنة مما يبين التوحيد ويبطل الشرك ما يستنفد المرء عمره لمعرفته، فحري لمن نصح نفسه أن يقبل على معرفة التوحيد والوقوف على أسراره ومعرفة الشرك والبعد عن أوضاره ومجانبة أهله فإنهم أعوان الشيطان وأولياؤه وحزبه ﴿**أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المجادلة:١٩].

وأما الشرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار ولكنه معرض للوعيد وصاحبه على خطر عظيم فلا تستهن به فما أكثر الواقعين فيه ممن يدعي العلم فضلا عن غيرهم من العامة وأشباههم وقد يترقى بصاحبه إلى الشرك الأكبر فيجب التحرز منه والحرص كل الحرص على تحقيق التوحيد.

والسير على منهاج خيار الأمة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وحققوا توحيدهم ولم يشوبوه بشرك ولا بدع الذين إمامهم ومقدمهم إلى رب العالمين محمد الأمين عليه صلاة وسلام إلى يوم الدين.

فإن الحرص على تحقيق التوحيد مما يباعد المؤمن عن الشرك أكبره وأصغره وقد خاف النبي ﷺ على أصحابه من الشرك الأصغر فمن بعدهم من باب أولى أن يخافه على نفسه.

ففي «مسند الإمام أحمد»(١) بسند حسن عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ قال: (**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (**الرياء**).

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأنواع الشرك الأصغر كثيرة وأكثرها وقوعا وانتشارا الحلف بغير الله كالحلف بالنبي ﷺ، والأمانة، والكعبة، والأب، والأم، ونحو ذلك كالحلف بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والبدوي وغيرهما.

وكون الحلف بغير الله شركا أصغر محله إذا لم يرد تعظيم المحلوف به أما لو كان معظما للمحلوف به بحيث لو قيل: له احلف بالله كاذبا؛ لحلف، وإذا قيل له: احلف بالبدوي ونحوه كاذبا؛ لما حلف: فهذا شرك أكبر.

وفي سنن أبي داود، وجامع الترمذي من طريق الحسن بن عبيد الله عن سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلا يقول: لا والكعبة. فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**).

هذا لفظ الترمذي. ولفظ أبي داود: (**من حلف بغير الله فقد أشرك**).

وفي «الصحيحين» وغيرهما من طريق نافع مولى ابن عمر عن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فناداهم رسول الله ﷺ: (**ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**). وفي «صحيح مسلم» من طريق إسماعيل بن جعفر عن عبد الله ابن دينار أنه سمع ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (**من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله**). وكانت قريش تحلف بآبائها فقال: (**لا تحلفوا بآبائكم**). فهذا تأكيد أكيد من النبي ﷺ في النهي عن الحلف بغير الله وقد تقدم أنه شرك. وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أحلف بغيره صادقا» رواه عبد الرزاق في المصنف، والطبراني في «المعجم الكبير» من حديث وبرة عن عبد الله. ووقع الشك عند عبد الرزاق في عبد الله هل هو ابن مسعود أم عبد الله بن عمر، والأثر سنده صحيح.

---

(١) (٥/٤٢٨).

ومعنى قول عبد الله ظاهر فإن الحلف بغير الله مع الصدق أعظم جرما وإثما من الحلف بالله مع الكذب. فالحلف بغير الله شرك والحلف بالله مع الكذب معصية. فليعلم ذلك فإنهما لا يستويان. وأما من استدل بحديث: (**أفلح وأبيه إن صدق**) المخرج في صحيح مسلم من طريق إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن طلحه بن عبيد الله عن النبي ﷺ به. على جواز الحلف بغير الله فقد قال ما لا علم له به، وخالف النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصريحة بالمنع من الحلف بغير الله. واستدل بما لا تقوم به حجة، والاستدلال بالمتشابه وترك المحكم الصريح من أفعال الذين في قلوبهم زيغ ومرض. فالواجب أخذ المحكم الصريح وترك المتشابه المحتمل.

وللعلماء رحمهم الله عدة أجوبة عن حديث (**أفلح وأبيه**):

فمنهم من قال بعدم صحة هذه اللفظة لتفرد إسماعيل بن جعفر بها. وقد جاء هذا الحديث في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن أبي سهيل به وليست فيه هذه اللفظة، ورووه بلفظ (**أفلح إن صدق**). قال ابن عبد البر رحمه الله في لفظة (**أفلح وأبيه**) إنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح[١].

ومن الأجوبة ما قيل: إن هذه اللفظة تجري على ألسنتهم من غير أن يقصدوا القسم، والنهي إنما ورد في حق من قصد حقيقة الحلف، وإلى هذا القول ذهب النووي في شرحه لـ«صحيح مسلم» وقال: (هذا هو الجواب المرضي).

ولكن ليعلم أنه ليس لأي إنسان أن يحلف بغير الله زاعما أنه لا يقصد حقيقة القسم والقول المتقدم إنما قيل جوابا عن إشكال ورد لكونه يخالف الآيات والأحاديث في النهي عن الحلف بغير الله فلو أن امرءا حلف بغير الله كفر ولو لم يقصد حقيقة القسم.

فليعلم ذلك فإن الأمر عظيم، والخطب جسيم فلا يجعل المسلم الشبه مكان اليقين، ولا الباطل محل الحق، فإن للحق نورا وللباطل ظلمة. فالحق أبلج. والباطل لجلج. ويبصر ذلك البصير الذي جعل كتاب الله وسنه رسوله ﷺ حكما على قول كل أحد والله الهادي إلى سواء السبيل.

ومن الأجوبة على الحديث أيضا: ما قيل إن في الجواب حذفا تقديره أفلح ورب أبيه إن صدق.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١١/٥٣٣).

وقيل: إن ذلك خاص بالنبي ﷺ دون غيره من الأمة وهذا القول ضعيف، فلا يلتفت إليه. فالأصل التشريع دون الخصوصية فلا تثبت الخصوصية إلا على وفق دليل شرعي، ولم يثبت في هذا شيء. فظهر بطلان هذا القول. وما تقدم من الأجوبة كاف في إبطال قول من جوز الحلف بغير الله وترك المحكم وتبع المتشابه.

والله أعلم.

ومن أنواع الشرك الأصغر: قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان، لأن الواو تقتضي المساواة ومساواة الخالق بالمخلوق شرك.

ومن ذلك قول: لولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره على قوله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾ [البقرة:٢٢].

حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد: حدثني أبي عمرو حدثني: أبو عاصم أنبأنا: شبيب بن بشر ثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ قال: (الأنداد هو الشرك أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان لا تجعل فيها «فلان» فإن هذا كله به شرك).

وقال أبو داود: حدثنا أبو الوليد الطيالسي: ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: (**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**).

ورواه الإمام أحمد، والطيالسي، وابن السني، والطحاوي وغيرهم من طريق شعبة به، وسنده صحيح.

ومن أنواع الشرك الأصغر أيضا: طلب العلم لغير الله، كطلبه لتحصيل الوظيفة والشهادة، أو طلبه لأجل الرياء والسمعة، ونحو ذلك مما ينافي الإخلاص.

وفي «صحيح مسلم» من حديث العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**).

وفي «صحيح البخاري» من حديث عبدالله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة: إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في**

الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

وفي سنن أبي داود من طريق فليح بن سليمان عن أبي طوالة عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)**. يعني: ريحها.

وفليح بن سليمان فيه كلام، وقد خرج له البخاري ومسلم.

والحديث رواه أيضا: ابن ماجه، والحاكم وصححه، وسكت عنه الذهبي. وللحديث شاهد من حديث ابن عمر بلفظ: **(من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار)**. رواه الترمذي من طريق أيوب السختياني عن خالد بن دريك عن ابن عمر به، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب.

وهذا الصنف، أعني: طلاب الدنيا بالدين، مرضى مرض قلوب، باعوا دينهم وإخلاصهم لتحصيل منافع عاجلة، وهذا بلاء عظيم، ومرض متوغل في القلوب، ومسلك منحرف، صاحبه كأنه لا يعيش إلا ليأكل، وهذا مسلك اليهود الذين عبدوا الدنيا وهجروا ما وراءها.

والأمراض القلبية من حب الجاه، والعلو في الأرض، وتطلب مدح الناس: عقوبات يصاب بها كثير من العباد الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة، وهذه الأمراض تسلب المسلم دينه وكرامته، فقبحها فوق ما يتصوره الكثير، فما أسوأ مغبتها، وأعظم خطرها، وأسرع عقوبتها، وما أهون صاحبها على الله.

ووراء هذه الأمراض الفتاكة «العلم المغشوش»، الذي هو عقبة على العلم الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فأصحاب العلم المغشوش يرفرف الجهل على قلوبهم ويظنون أنهم حازوا العلم المنشود؛ لأن صاحب الهوى قد أعماه هواه عن معرفة الحق، ومن أرشدهم إلى خطر هذا العلم، وبعده عن تعاليم الدين، رموه عن قوس واحدة بالجهل والتخلف، وربما نسبوه إلى الخوارج المارقين، فالله المستعان.



فصل

وأما النوع الثالث من أنواع التوحيد فهو: (توحيد الأسماء والصفات).

ومعرفة هذا النوع من الأصول التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه. فإنكار هذا النوع إنكار للخالق وجحد له. ولا يدخل العبد في الإسلام حتى يؤمن بأسماء الله وصفاته.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان، حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها: هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان. فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان.

وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسيء الظن به. وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى: ﴿**وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ**﴾ [فصلت:٢٢-٢٣].

فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته: من سوء ظنهم به، وأنه هو الذي أهلكهم. وقد قال في الظانين به ظن السوء ﴿**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**﴾ [الفتح:٦].

ولم يجيء مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه، وجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به....)[(١)].

ومذهب سلف الأمة وأئمتها في باب الأسماء والصفات: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، وينزهون الله عن مشابهة المخلوقات تنزيها بلا تعطيل ويثبتون لله جميع الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة إثباتا بلا تمثيل، فإن من نفى عن الله صفة من صفاته فهو معطل، وإن حرفها وصرفها عن ظاهرها فهو ملحد محرف، وإن أثبتها وقال: إنها تشبه صفات المخلوقين فهو مشبه، وإن

---

(١) «مدارج السالكين» (٣٦٣/٣).

قال: أفوض علم معاني الصفات إلى الله فهو مفوض وخطره على العقيدة أعظم من خطر الجهمي لخفاء قوله على كثير من المشتغلين بالعلم، والعجب أن كثيرا ممن تصدى للتصنيف يعزو هذا القول إلى السلف – وهم كثر ممن لم يفقه مذهب السلف على حقيقته منهم: الرازي، والغزالي، والسيوطي، وصاحب «كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن» فإنه قد عزى مذهب التفويض إلى السلف وارتضى هذا القول وسمى المذهب الصحيح المبني على الكتاب والسنة مذهب الخلف، وله في كتابه المذكور آراء فاسدة وتصورات خاطئة في العقيدة نذكر ما تيسر منها لاشتهار الكتاب واشتغال الكثير بدراسته وتدريسه، فمن ذلك أنه زعم (أن الصفات من المتشابه) كما في (٢٨٦/٢)، ويقصد بالمتشابه الذي لا يعلم معناه لأنها عنده مشكلة. وهذا خطأ وضلال فإن باب الأسماء والصفات باب محكم واضح يفهم أصل المعنى كل إنسان لم تتغير فطرته، وكيف يكون مشتبها أفضل شيء حصلته النفوس واكتسبته القلوب ولم يتوف الله نبيه ﷺ حتى أكمل به الدين، وأساس الدين معرفة الله بأسمائه وصفاته وقد بلغه النبي ﷺ بلاغا عاما فعلمه الخاص والعام وفي الصحابة القروي والبدوي والعربي والعجمي ولم يشتبه توحيد الأسماء والصفات على واحد منهم بل آمنوا به وعرفوا المراد منه أعظم معرفة.

وزعم الكاتب في كتابه[1] أن ظواهر الصفات غير مرادة للشارع قطعا لأنه مفوض ويظن أن التفويض هو مذهب السلف كما تقدم، وعنده أن إثبات السمع لله والبصر والعلم والحياة والاستواء ونحو ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه موهمة للتشبيه ومن ثم قال: (إن ظواهرها غير مرادة الله) يريد بذلك نفي ما تحمله الصفات من المعاني لأن إمرار الصفات كما جاءت مع فهم معانيها وإثبات حقائقها يوهم التشبيه عنده، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا.

والذي عليه أهل الفطر السليمة أنهم إذا أثبتوا لله السمع والبصر والعلم والحياة والاستواء لم يقتض ذلك أن يكون علمه وبصره وسمعه وحياته واستواؤه، كعلم المخلوق وبصر المخلوق وسمعه وحياته لأن الله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

(١) (٢٨٦/٢).

وقال في كتابه[1] إرشاد وتحذير: (لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتنزيه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات).

هكذا قال هذا الكاتب وجنى على نفسه وخاض فيما لا يحسنه ومن خاض فيما لا يحسنه أتى بالعجائب وجعل الحق باطلا والباطل حقا وأنكر ما أجمعت الأمة عليه، وصوب ما اتفق أهل العلم والمعرفة على تخطئته، وهذا الكاتب جعل إثبات الصفات لله على ما يليق به خوضا بغير حق وقد سبق إبطال زعمه بأن الصفات من المتشابه الذي لا يعلم معناه. وأما قوله: (ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه... إلخ) فهو خطأ خطير فليس في إثبات نصوص الصفات ما يحتمل التشبيه أو الكفر، ومن ظن أن أثبات صفات الكمال لله تعالى يقتضي تشبيها فهو مخطئ في ظنه ضال في عقيدته، وأهل الكلام لهم عبارة يرددونها في كتبهم وقد تقدم ردها وهي (أن ظواهر الصفات غير مرادة لله) فالإيمان بصفات الله عندهم يقتضي الكفر والتشبيه لأنهم يظنون أن إثبات صفات الخالق على وفق ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية يقتضي أو يحتمل تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك ظن الذين كفروا فلا يظنون إلا المعاني الفاسدة فويل للذين كفروا من النار. وليس في الكتاب ولا في السنة ما ظاهره يقتضي كفرا أو تشبيها، وتعالى الله عن أن يكون ظاهر كلامه كفرا أو تمثيلا أو تشبيها، وأهل الباطل يتوهمون في صفات الله أو أكثرها أنها تماثل صفات المخلوق فلا يفهمون من إثبات الصفات إلا هذا الفهم الباطل الناشئ من تعطيل ما يستحقه الرب.

والقرآن مملوء من الرد على من شبه الخالق بالمخلوق قال تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:٤]، وقال تعالى: ﴿**فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ**﴾ [النحل:٧٤]، وقال تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾ [مريم:٦٥]، وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

والمسلم يجب عليه أن يثبت أسماء الرب وصفاته من غير تمثيل ولا تشبيه، ولا يهولنه أقوال المعطلين لأسماء الله وصفاته من أن من أثبت له صفات الكمال فقد شبه.

ثم قال الكاتب بعد ذلك: (ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا، ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون، ومن ذلك قولهم: إن الله يشار إليه بالإشارة

(١) (٢/٢٩١).

الحسية، وله من الجهات الست: جهة الفوق ويقولون إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقيا، بمعنى أنه استقر فوقه استقرارا حقيقيا غير أنهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا وليس على ما نعرف...).

أقول: وأما قوله: (أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا...) فيقال: هذا لا عيب فيه إنما العيب والضلال، الامتناع من إثبات ألفاظ الصفات وحقائقها، وأما مواجهة العامة بإثبات الصفات وإمرارها كما جاءت مع فهم أصل المعنى وإثبات حقائقها فهو أمر ضروري وتبليغه من الأمور الضرورية فلا يتم إسلامهم إلا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته والإيمان بذلك لأنه أساس الإسلام ومن أنكر مواجهة العامة بذلك وامتنع من قراءة آيات الصفات وأحاديث الصفات فقد أنكر أصل الدين وأتى بقول يضارع قول الجهمية المعطلين وقد كان النبي ﷺ يواجه جميع المسلمين بذلك عربهم وعجمهم لأن ذلك من أعظم دعائم التوحيد والممتنع من مواجهة العامة بذلك ممتنع عن تبليغ أصل الدين والله المستعان.

وأما قوله: (وينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح...) فجوابه أن يقال: نسبتهم إثبات الصفات للسلف من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف حق لا امتراء فيه ولا ينازع في ذلك أحد شم رائحة العلم إنما ينازع في ذلك المعتزلة والجهمية والمفوضة وأشباههم من الصادين عن سبيل الله وأما استعظام الكاتب قول من قال: (إن الله يشار إليه بالإشارة الحسية) فهذا مبدأ إنكار علو الله على خلقه، وسيد ولد آدم في أعظم مجمع حضره الناس يشير بأصبعه السبابة إلى السماء ويقول: **(اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات)** والحديث في صحيح مسلم من حديث جابر الطويل في صفة حج النبي ﷺ فالنبي ﷺ في هذا المجمع العظيم يستشهد ربه الذي فوق العرش والجهمية المعطلة تنكر ذلك وتزعم أنه أشار إلى السماء مستشهدا لها وهذا الكاتب يوافق الجهمية على أن الله لا يشار إليه بالإشارة الحسية وهذا ليس بمستغرب من الكاتب لأنه لا يؤمن ولا يقر بعلو الله على خلقه ولا باستوائه على عرشه استواء حقيقا يليق به ومن لا يؤمن بهذا فليس بمستنكر منه إنكار الإشارة إلى الله، وإنكار علو الله على خلقه أصل التعطيل المأخوذ عن الصابئة والمشركين وعندهم أن الله ليس في السماء وليس هناك في السماء إله يعبد ولا يصعد إليه شيء ولا ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، وأي دين يبقي لمن أنكر علو الله على خلقه وقد اتفقت الرسل على الإقرار به وشهدت به العقول السليمة والفطر وعلم من الدين بالضرورة فجميع المسلمين عند نزول الشدة والكرب وغير ذلك يرفعون رؤوسهم نحو السماء رافعين أيديهم يتضرعون لربهم كشف الكُرب حتى شعراء الجاهلية مقرون به لأن الله فطرهم على أنه فوق السماء، قال عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي إذ كان ربي في السماء قضاها

وهذا كثير في أشعار أهل الجاهلية فهم أعقل من الجهمية المنكرين لعلو الله على خلقه فهم كابروا المنقول والمعقول، قال تعالى: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦]، وقال تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر:١٠]، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٨]، وقال تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران: ٥٥].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش**). وفي «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم السلمي أن النبي ﷺ قال للجارية: (**أين الله؟**) قالت: في السماء قال: (**من أنا؟**) قالت: أنت رسول الله قال: (**أعتقها فإنها مؤمنة**). والأحاديث في إثبات علو الله على خلقه متواترة فلا ينكر ذلك إلا جهمي مارق خارج عن الدين داخل في زمرة الصابئة والمشركين.

وأما إنكار استواء الله على عرشه فهو أيضا مذهب الجهمية المنكرين للعلو، وفي سبعة مواضع من القرآن. يثبت الله استواءه على العرش وهذا الاستواء استواء حقيقي معلوم، ولكن الكيف مجهول ومن أنكر استواء الله على عرشه استواءً حقيقياً فهو جهمي وقد كفر الجهمية خمسمائة عالم من سائر البلدان. قال العلامة المحقق ابن القيم في نونيته:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنهم ... بل قد حكاه قبله الطبراني

قال يزيد بن هارون: (من زعم أن الرحمن فوق العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي). وعلى هذا المنهج درج علماء السلف ونسبوا منكر الاستواء إلى الجهمية، هذا وليعلم أنني لم آت على جميع ما في كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» من التعطيل والتفويض فليكن المسلم حذراً مما يقرره صاحب الكتاب في باب العقيدة وليستغن بكتب السلف عن هذا الكتاب فإنه يخاف على مطالعه من الاغترار بشبهاته وأباطيله خصوصاً أنه يعزو ما يأتي به من الباطل إلى السلف، ولا يستطيع هذا الكاتب ولا غيره ممن عدل عن مذهب السلف وركن إلى مذهب الخلف وارتضى لنفسه مذهب التفويض والتعطيل أن ينقل حرفاً واحداً عن السلف فيما ادعى وليس هناك شيء مما ادعاه قاله السلف لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا قاله أحد من الأئمة المشهورين الذين لهم رسوخ في العقيدة وقدم صدق في هذا الباب كمالك ويزيد بن هارون وحماد بن زيد والأوزاعي ونعيم بن حماد وأحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه

والبخاري ولا من بعدهم من الأئمة المحققين كابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهم الله وخطأ هذا المفوض جاء من قبل جهله بمذهب السلف وظنه علماء الكلام هم السلف الذين لهم المرجع في مثل هذه المسائل، وهذا ضلال مبين.

والواجب على كل مسلم يريد نجاة نفسه تدبر القرآن الكريم والسنة النبوية في هذا الباب العظيم، وعليه بسؤال رب جبريل وميكائيل وإسرافيل الهداية إلى صراط مستقيم فإنه من فهم هذا الباب وأثبت لله ما أثبت لنفسه فقد هدي إلى صراط مستقيم، فنسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم ونستعيذ به من صراط أهل الجحيم – وأنه مذهبهم وهذا كذب عليهم أو خطأ، والسلف برآء من هذا المذهب براءة الذئب من دم يوسف.

فإن مذهب السلف إثبات الصفات لله، وإمرارها كما جاءت، مع الإيمان بمعانيها وما دلت عليه، والله جل وعلا إنما أنزل القرآن تبيانا لكل شيء ليتدبر العباد آياته ويتفقهوا في معانيه كما قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...**﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ [المؤمنون:٦٨]، ونحو ذلك من الآيات. والتدبر المأمور به عام في آيات الصفات وغيرها فلا يخص شيء دون شيء، ومن خص التدبر بآيات الأحكام دون آيات الصفات فعليه إقامة البرهان والحجة على هذا التخصيص الذي ما أنزل الله به من سلطان. فالسلف إذا قرأوا قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١]، علموا أن الله لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يماثله شيء من المخلوقات، وأنه سميع بصير، فالسميع اسم من أسماء الله تعالى، فيستفاد منه: إثبات صفة السمع لله تعالى، قال تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١]، وقال تعالى:﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾ [الزخرف:٨٠].

والقرآن مملوء من إثبات السمع لله، ومن تدبر القرآن مريدا للحق تبين له طريقه.

وقوله تعالى: ﴿**البَصِيرُ**﴾ يستفاد منه إثبات صفة البصر لله تعالى. وليعلم أن كون الله (سميعا بصيرا) والمخلوق سميعا بصيرا؛ لا يلزم منه مماثلة، ولا مشابهة، فليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر. فلله تعالى من ذلك صفات الكمال المطلق. أما المخلوق فإن حصل له كمال فهو كمال نسبي وأمره إلى هلاك كما قال تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨].

وهذا الباب مهم، يجب تدبره. وقد غلط فيه بعض المنتسبين إلى العلم، وزل فيه فئام من الناس ممن تصدى للتعليم والتصنيف، ونفوا عن الله ما وصف به نفسه، زاعمين نفي التشبيه؛ فضلوا في هذا الباب العظيم، وخالفوا ما دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

وليس ولله الحمد فيما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه، إنما التشبيه في نفي ما أثبت الله لنفسه، أو أثبته له رسوله مُحَمَّد ﷺ.

ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه بدعوى تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، فقد أعظم على الله الفرية، وحرف الكلم عن مواضعه، وسلك مسلك أهل التحريف والإلحاد، وفارق الجماعة.

وقد مضى سلف الأمة وأئمتها المهتدون على إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، ولم يتنازعوا في شيء من ذلك، واتفقوا على: إمرار الصفات كما جاءت، مع فهم معانيها، وإثبات حقائقها.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد، بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها. وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا وأن العناية ببيانها أهم لأنها من تمام تحقيق الشهادتين وإثباتها من لوازم التوحيد. فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بيانا شافيا، لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم، وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاص من الناس، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام، أعني: فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية)[1].

أقول: ولا سبيل للخلق إلى معرفة الكنه والكيفية ولم يكلف الله عباده بمعرفة ذلك فيقف المسلم حيث جاءت به النصوص وما عدا ذلك لا يخوض به المسلم وليعلم أن الله تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى:١١].

وقاتل الله أهل الباطل فما أدخلهم فيما لا يعنيهم وما لم يكلفوا بعلمه ومعرفته وما أبعدهم وأجهلهم وأضلهم عن معرفة ما أمروا بعلمه ومعرفته.



---

(١) «مختصر الصواعق» (١/١٧).

فصل

اعلم أن المذاهب المخالفة لمذاهب السلف في باب الأسماء والصفات: كالمعتزلة، والجهمية، والأشاعرة، والماتريدية، والإباضية، والمفوضة كثيرة جدا، وأكثر هذه المذاهب الضالة شيوعا مذهب الأشاعرة، وكثير من كتب التفسير والحديث والأصول تمتلئ به.

وكثير من أتباع هذا المذهب يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة فكثيرا ما يرد في عبارات بعض علماء الأشاعرة: «اتفق أهل السنة»، «وهذا مذهب أهل السنة والجماعة»، ويعنون بذلك مذهب الأشاعرة.

والأشاعرة ليسوا في عداد أهل السنة الجماعة، لا في باب الأسماء الصفات، ولا في كثير من أبواب العقيدة، إنما هم في عداد أهل الفرقة والضلالة، وفيهم أيضاً، أو في أكثرهم: إرجاء، وجبر، وشيء من التجهم، فإنهم يوافقون الجهمية في كثير من أصولهم.

ومن زعم أن الأشاعرة من أهل السنة والجماعة؛ فهو إما جاهل بمذهب السلف وحقيقته، فهذا يجب عليه أن لا يقف ما ليس له به علم، فإن الكلام بلا علم جهل وضلال، وإما صاحب هوى وباطل، يجادل بالباطل ليدحض به الحق.

وكيف يكونون من أهل السنة والجماعة ومصدر التلقي عندهم في باب الأسماء والصفات، وكثير من أبواب العقيدة هو: العقل؟! وقد صرح كثير من أئمتهم أنه إذا تعارض النقل والعقل؛ يقدم العقل. وهذا معلوم لمن عنده معرفة بمذهب القوم. مع أن التعارض بين النقل والعقل لا يمكن على المذهب الصحيح فإن العقل الصحيح يوافق السمع الصحيح ولا يخالفه، وإن جاء ما يوهم ذلك: فلفساد العقل أو لعدم صحة النقل.

وكثير من أهل البدع يبتدعون بدعا، ويدعون أن العقل دل عليها. كما يفعل ذلك الأشاعرة وغيرهم.

فلذلك ينبغي التنبه إلى أن العقل لا يستقل وحده أبدا بإثبات أصل من أصول العقيدة أو الأحكام.

وقد ضل كثير من أهل الكلام الفلاسفة والأشاعرة وغيرهم في تأسيس دينهم على العقليات التي تتجلى لهم دون ميزان شرعي، وما ضل من ضل إلا بتقديم العقل على النقل.

والأشاعرة أيضا لا يثبتون لله إلا سبع صفات: الحياة، والعلم، والكلام، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر. ومنهم من يثبت صفة اليد لله تعالى، وأكثرهم على نفيها. وما أثبته الأشاعرة من هذه الصفات السبع حجة على ما نفوه. فلا يأتون بدليل يدل على نفي ما عدا السبع إلا كان دليلا يستدل به على نفي السبع، ولا يأتون بدليل يدل على إثبات الصفات السبع إلا كان دليلا على إثبات ما عداها.

وإثبات الأشاعرة لسبع صفات، ونفي ما عداها: من أقوى الأدلة، وأكبر البراهين على ضلالهم، وفساد عقولهم، وتناقضهم، واضطرابهم.

فإذا بطل قولهم، واستبان تناقضهم في إثبات سبع صفات دون ما عداها، لم يبق إلا إثبات جميع ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله مُحَمَّد ﷺ مما صحت به الأحاديث، كما عليه سلف الأمة وأئمتها، وترك السفسطة والتحريف والتأويل الفاسد.

والأشاعرة وغيرهم من أهل البدع: يدعون النصوص الصريحة التي توجب العلم، ويعارضونها بترهات وشبه تورث الشك، وهي في غاية من الضعف والاضطراب.

فسبحان من أضلهم، وأعمى قلوبهم، فلا يفقهون الحق، ولا يعونه ﴿**كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٥].

وبُعْدُ مذهب الأشاعرة عن مذهب السلف أمر لا يخفى على طالب علم، فضلا عن عالم عرف حال القوم. وخطورة مذهبهم على العقيدة السلفية فوق ما يخطر ببال الكثير. وقد بينت شيئا كثيرا من خطورتهم على العقيدة في مصنف مستقل يسر الله إتمامه يتضمن تنبيه أهل الإيمان على خطورة تعليقات وتحقيقات واختصارات بعض المعاصرين على كتب السلف، فإنهم اتخذوا الاختصارات وغيرها سلما لبث بدعهم وضلالهم:

إما في صلب الكتاب، كما يفعل ذلك الصابوني: الذي اتخذ اختصار الكتب سبيلا لنشر مذهب الخلف في كتب السلف، وقد أتيت على بنيان اختصاراته وكتبه من القواعد، وبينت ما فيها من الأوابد في كتابنا المشار إليه آنفا.

وإما في الحواشي مع استعمال المخادعة في بث البدعة، فتجدهم يعزون القول المبتدع إلى بعض المتقدمين من المتكلمين، أو غيرهم ممن قوله يوافق مذهبهم حتى لا ينكشف أمرهم، وكل هذا سوف أستخرجه – إن شاء الله – من كتبهم وتعليقاتهم على كتب السلف، فإن تنقية العقيدة وكتب السلف من تلاعب الخلف – ونعني بالخلف: أهل البدع – أمر مهم تشتد إليه الحاجة في هذا الزمان، وهو من أفضل الجهاد في سبيل الله، إذ الوقوف في نحور أهل البدع، وكشف عوراتهم، وبيان طرائقهم ومكايدهم ومناهجهم: جهاد من أفضل الجهاد. نسأل الله الإخلاص في القول والعمل ونعوذ به من أهل الغل والحسد والافتراء.



فصل

إذا عرفت مذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات؛ فاعلم أنه قد ضل فيه طوائف من المنتسبين إلى العلم. وسبب ذلك خوضهم مع أهل الكلام، واشتغالهم بعلومهم، ومجالستهم، ومصاحبتهم؛ لأن أهل الكلام والجدل والخصومات في الدين أهل بدع وضلال.

وما تزعزعت عرى الإسلام، وانتقضت معظم مبانيه إلا بسبب أهل الكلام وعلومهم، فهم منشأ الشر ومنبعه.

ومن ثم تتابعت أقوال العلماء والأئمة على ذم الكلام والطعن في أهله، ورميهم بالابتداع في الدين، ونشر الفساد بين المسلمين.

فهذا الإمام الشافعي يقول: (لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه سوى الشرك خير له من الكلام، ولقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلما يقول ذلك).

رواه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه»[١] وسنده صحيح.

وقال البغوي رحمه الله في «شرح السنة»[٢]: (واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه).

ويدخل في علوم أهل الكلام ما فشا في عصرنا هذا مما يعلم في بعض المدارس النظامية من علوم أهل الهيئة كقولهم: (إن الجبال ناشئة من تصادم الصفائح في باطن الأرض)، وقولهم: (إن المجموعة الشمسية تكونت من ضباب غاز نتيجة لتجاذب أجزاء الغبار)، وقولهم: (الخسوف من الظواهر الطبيعية التي تنتج عن دوران القمر حول الأرض ودوران كليهما حول الشمس)، وقولهم: (إن المجموعة الشمسية كانت جسما كالضباب مكون من الغاز وبفضل الجاذبية والطاقة تجمعت عناصر هذا الضباب ضمن كتل ثم انفصلت تدريجيا إلى كتل كبيرة إلى أن تكونت منهما المجموعة الشمسية)، وغير ذلك مما يصادم المنقول ويخالف المعقول، وأصبح تعلمه أمرا ضروريا عند كثير من أهل هذا الزمان ممن غلب عليه إيثار الدنيا على الدين.

---

(١) (ص١٨٢).

(٢) (٢١٦/١).

وقد قال الذهبي رحمه الله: (فوالله لأن يعيش المسلم جاهلا خلف البقر لا يعرف من العلم شيئا سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات الخمس ويؤمن بالله واليوم الآخر خير له من هذه العلوم).

وعلماء الكلام بداية أمرهم في ضلال، ونهاية أمرهم إلى تباب.

وقد أخبر الشهرستاني وهو أحد المتكلمين بما آل إليه أمره بعدما طاف البلاد وعلم خطورة علم الكلام وعدم ثمرته للإنسان فقال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرى إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم

وقال شقيقه في الخوض بعلم الكلام والجدل في الدين: الرازي:

(نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن.

أقرأ في الإثبات ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾ [فاطر:١٠].

وأقرأ في النفي ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:١١]، ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً**﴾ [طه:١١٠].

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)(١).

وقد ضل أكثر من خاض في علم الكلام وما استطاعوا التخلص منه فالشبه خطافه، ومن أراد التقرب إلى الله بهذا العلم لم يزدد من الله إلا بعدا. قال تعالى:﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف:٥].

فإذا عرفت قبح علم الكلام ومضرته، وأنه بدعة وضلالة؛ فاعلم أن من أصول أهل السنة والجماعة: هجر أهل الكلام والبدع، ومنابذتهم، والتحذير منهم، والتنكيل بهم، سواء كان المبتدع داعية إلى بدعته، أو لم يكن داعية، إلا أن الداعية أعظم حتى أنه إذا لم يندفع شره إلا بقتله جاز لإمام المسلمين قتله. فإذا كان قطاع

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية» (ص٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/٥٠١)، و«طبقات الشافعية» (٨/٩٦).

الطريق إذا لم يندفع شرهم إلا بقتالهم جاز قتالهم، فكيف بالمبتدع الذي ضرره على الإسلام والمسلمين أعظم من ضررهم!

واعلم أن ما يوسوس به بعض جند الشيطان من أهل هذا العصر على العامة وأشباههم من دعواهم أن مجانبة المبتدعة يوقع الشقاق والاختلاف بين الأمة وهي بحاجة إلى توحيد كلمتها. مخالف لهدي سيد المرسلين وصحابته الأكرمين.

وما ارتدى هذا المنهج أحد إلا خذل لأنه مبني على الجهل والمداهنة بل والنفاق وبئس الاتفاق المبني على مصاحبة أهل البدع ومجالستهم ومداهنتهم وهذا الاتفاق المزعوم؛ أمره في مريج وآخر مآله إلى شقاق لأن مبناه على المشاقة لله والرسول ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**﴾ [النساء:١١٥].

فهذا وعيد شديد على من اتبع غير سبيل المؤمنين، ومنه مجالسة أهل البدع؛ لأن سبيل المؤمنين مبني على موالاة المؤمنين، فمن تولى المبتدعين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا، قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة:٢٢].

ومجالسة أهل البدع محادة لله ورسوله.

وأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله فتحب أهل السنة والجماعة وتبغض أهل البدعة والضلالة.

وهذه ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فقد سفه نفسه. ومن أخل بهذا الأصل فقد أخل بأصل من أصول الإسلام، وهدم ملة إبراهيم عليه السلام التي مدراها على الولاء والبراء.

قال أبو قلابة: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون). رواه الدرامي في «سننه»[1]، وسنده صحيح. وقال في (١/١١٠): أخبرنا أحمد ثنا زائدة عن هشام عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم).

وحديث كعب بن مالك المخرج في الصحيحين وغيرهما حين تخلف ومن معه عن غزوة تبوك، فيه دلالة ظاهره على هجران أهل المعاصي والإعراض عنهم. فكيف بأهل البدع فإنهم أولى بالهجر حتى يتوبوا فإن تابوا

---

(١) (١/١٢٠٨).

قبل منهم وإلا فهجرهم على التأبيد حتى ينزجر بهم غيرهم لأن النبي ﷺ هجر كعبا وصاحبيه وأمر أصحابه بهجرهم.

قال البغوي رحمه الله في «شرح السنة»:[1] (وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم).

فعلى جميع الخلق الخضوع لهذا المنهج الصحيح الذي درج عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وترك الجدل والبدع وحذار حذار من رد الحق من أجل شهوتك ورغبتك، أو تعتذر عن اتباعه بفعل علمائك ومشايخك. فإن الحق لا يعرف بالرجال ولا بالكثرة.

فالفرض على جميع الخلق اتباع الكتاب والسنة، ورد المسائل المتنازع فيها إليهما، فالحق يدور على هذين الأصلين لا يخرج عنهما أبدا، فالأخذ بالكتاب من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، والأخذ بالسنة من تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله، ولا يعدوا هذين الأصلين إلا من احتوشته أسباب الشقاوة، قال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾ [النساء:٦٥].

وعلى كل مسلم أن يحرص على تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويحصل ذلك بتجريد المتابعة للنبي ﷺ فالحق دائر معه وجودا وعدما، وأما غيره فيؤخذ من قوله ويرد، فمن جاء بالحق قبل منه وإن كان بغيضا لأنه يخبر عن الله تعالى ورسوله لا عن نفسه.

ومن جاء بالباطل رد عليه وإن كان محبوبا وهذا حقيقة تجريد المتابعة للنبي ﷺ ولن يضل المرء ما اتبع الأثر ولن يسأله الله عن كونه لم يتبع فلانا وفلانا ما اتبع الرسول ﷺ وقد أخبر النبي ﷺ عن وجود التنازع والاختلاف في هذه الأمة فقال: (**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**). رواه الترمذي، وأبو داود، وأحمد عن العرباض بن سارية وسنده صحيح.

ففي هذا الحديث إشارة إلى ظهور الخلاف الكثير وقد وقع كما أخبر ولكن بين المخرج منه فقال: (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**) فأمر باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين، وترك ما أحدث الناس بشهواتهم ورغباتهم وتخضيع النصوص الشرعية مسايرة للواقع فإن الواقع لا يحل حراما ولا يحرم حلالاً. فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وما سكت عنه فهو عفو.

---

(١) (٢٢٧/١).

قال الأوزاعي رحمه الله: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول) رواه الخطيب «شرف أصحاب الحديث» وسنده صحيح، وقال الإمام أحمد رحمه الله: (أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة..). وهذا آخر ما كتبته فلله الحمد والمنة على ما يسر.

وأستغفر الله الكريم على ما يقع من الخطأ والزلل.

فلك أيها القارىء غنمه وعلى كاتبه غرمه.

فنسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يمن علينا بجنات النعيم، وأن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا خطأنا فإنه لا يسلم من الخطأ إلا من عصم الكريم، ولا عصمة إلا للأنبياء والرسل المصطفين.

وحسبنا أننا قصدنا الحق وتحرينا الصواب.

وأعوذ بك اللهم ممن لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، وليس لهم من العلم نور يفرقون به بين الحق والباطل، فجعلوا الباطل حقا، والحق باطلا، والسنة بدعة، والبدعة سنة.

وأعوذ بك اللهم ممن ضاق بالحسد والغل صدره فلم يستطع كتمه ولا دفعه، فلجأ إلى البهت والمسبة، ورمانا بالعظائم وكل قبيح، واجتهد بالتدليس والتلبيس على خفافيش الورى، رغبة في التكفير والتفسيق.

اللهم فعياذا بك من هؤلاء الحاسدين والبغاة المعتدين، قل حياؤهم، وانطمس ورعهم، وقل دينهم، فكثر بهتهم وارتووا من الظلم والجهل، فضاقت مذاهبهم، وانقطعت مكايدهم وحيلهم، فاستراحوا إلى التكفير والتبديع مختلقين الأباطيل والأكاذيب.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على أفضل المصطفين مُحَمَّد الذي ناله من الأذى ما لم ينل نبيا قبله فضلا عن سائر البشر، وعلى آله وصحبه الطيبين الذين جاهدوا الكفار والمنافقين وأرغموا أنوف الحاسدين.

تم الفراغ من كتابة هذه الرسالة في شعبان

الموافق ١٠/٨/١٤١٣هـ

القصيم – بريدة

بقلم الفقير إلى الله

سليمان بن ناصر بن عبد الله العلوان



الفهرس

